الفصل الثاني

موسى عليه السلام
والنداء الإلهي الأول
والصراع مع فرعون حتى الخروج

obeikandl.com

obeikandl.com

موسى عليه السلام والنداء الإلهي الأول

في هذا الفصل تبدأ مرحلة جديدة من حياة النبي موسى عليه السلام، وهذه المرحلة تحوي:

النداء الإلهي الأول لموسى، ثم توجهه خفية إلى أهله ومن ثم جداله مع فرعون الذي امتلأ بالأحداث السريعة حتى الأمر بالخروج من مصر إلى سيناء.

النداء الأول

تقول التوراة: «**وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة، وقال: موسى.. موسى، فقال: هأنذا، فقال: لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله، فقال الرب: إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والغرزيين والحويين واليبوسيين.** (خروج: الإصحاح الثالث: 1 ـ 8).

وتقول: **فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر.** (خروج: الإصحاح الثالث: 10).

وتقول: **حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل**». (خروج: الإصحاح الثالث: 12).

هذا ما كان من النداء الإلهي الأول لموسى عليه السلام حسب رواية التوراة.

ولننظر إلى النص القرآني بماذا يخبرنا وكيف ساق القصة في سياق ديني إلهي نبوي متميز: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (سورة طه: 9 ـ 24).

وفي الآية 42 وما بعدها يقول: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (سورة طه: 42 ـ 47).

بعد إيراد النص القرآني بمقابل النص التوراتي، نجد أنفسنا وقد دخلنا في بحر من المعلومات وبحر من المعاني والظلال التي تمنحنا إياها آيات القرآن الكريم وتصحيح الأخطاء والتحريفات التي كثرت في التوراة إلى حد غير معقول.

وبالمقارنة نرى الأمور التالية:

1- موسى عليه السلام كان يرعى غنمه حين تجلّى الله سبحانه له من خلال النار الرامزة إلى قدرته، حسب نص التوراة.

2- موسى عليه السلام كان يرافقه ابنه وزوجته حسب النص القرآني.

3- المكان المقدس في التوراة الذي تجلت قدرة الله فيه هو جبل حوريب حسب التوراة.

4- المكان المقدس في القرآن الكريم هو الواد المقدس طوى.

5- تتفق التوراة مع القرآن في قول الله اخلع نعليك أو نعلك.

6- يقول الرب لموسى عليه السلام أنا إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب حسب التوراة.

7- يقول الله سبحانه إنني أنا ربّك، وإنني أنا الله لا إله إلا أنا.

8- تحوّل التوراة النص إلى وعد إلهي لموسى عليه السلام بإخراج بني إسرائيل من مصر وتمليكهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً.

9- في القرآن الكريم يطلب الله سبحانه من موسى عليه السلام أن يعبده ويقيم الصلاة لذكره، ويعلمه أن اليوم الآخر آتٍ لا ريب فيه لتُجزى كل نفس بما عملت، ويطلب منه الالتزام بالله مهما حاول الكفرة أن يصدوه عن هذا الطريق.

الفارق بين التوراة والقرآن الكريم كبير وخاصة بالغايات والوسائل، وأهمها أن الله سبحانه يعلم موسى عليه السلام العقيدة ويهيئه لعمل دعوي عظيم عند فرعون، بينما أهمها عند التوراة التركيز على الوعد الإلهي المزعوم بامتلاك الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.

10- تفترض التوراة أن الله نظر إلى مذلة شعبه فنزل ليدافع عنهم، وهذا من السخف التوراتي الذي يجعل من الله خادماً لبني إسرائيل ينزل لينقذهم من أيدي المصريين ويخرجهم من مصر إلى أرض أخرى تفيض لبناً وعسلاً ليمتلكوها.

ومن السخف التوراتي أنهم ينسبون إلى الله تحديد أرض فلسطين وهي ملك الكنعانيين وقبائلهم الستة.

11- في التوراة يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون لغاية واحدة وهي إخراج بني إسرائيل من مصر.

12- في القرآن الكريم يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون الذي طغى ليقول له قولاً ليناً ليتذكر أو يخشى، ويعود عن جبروته وكفره أولاً، ثم ليترك بني إسرائيل وشأنهم دون عذاب وتعذيب.

أين يقع جبل حوريب أو جبل سيناء؟.

جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يلي: سيناء اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل حوريب واسم البرية المحيطة به، وقد أطلق عليه حوريب سبع عشرة مرة، وحسب الكتاب المقدس فقد قضى بنو إسرائيل بجانب هذا الجبل سنة، وكانت تحيط بهذا الجبل برية كافية لأن يعسكر فيها العبرانيون لمدة سنة.

وحسب رأي جستنيان ويوسيفوس المؤرخ فإن جبل حوريب هو جبل موسى عليه السلام، وهو عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه؛ لأنه حاد الصخور وشديد الانحدار ولا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء.

ويقع وادي الراحة أسفل هذا الجبل وتبلغ مساحته أربعة أميال مربعة، وتوجد اليوم عند جبل موسى ـ حوريب ـ أديرة وكنائس اكتشفت فيها بعض النسخ القديمة من الأسفار المقدسة في اللغات اليونانية والسريانية والجورجية والأثيوبية والسلافية والعربية وقد اكتشفت النسخة السينائية للكتاب المقدس في اللغة اليونانية في دير القديسة كاترين وقد كُتبت في القرن الرابع الميلادي[1].

وإذا نظرنا إلى خريطة سيناء وجدنا أن جبل سيناء أو حوريب يقع في جنوبها وقريباً من الزاوية التي ينشق فيها البحر الأحمر إلى خليج السويس وإلى خليج العقبة، وقد ورد في القرآن الكريم اسم لوادٍ يدعى طوى، وورد في الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ (سورة القصص: 29).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ (سورة القصص: 30). ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ (سورة القصص: 44).

جاء في البداية والنهاية: كان موسى عليه السلام في وادٍ اسمه طوى فكان موسى عليه السلام مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، ويقال إن جبل الطور يقع في وادي طوى.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، ص 499.

وعليه فهل جبل حوريب هو نفسه جبل طور؟.

وإذا كان جبل حوريب يُسمى أحياناً كثيرة جبل سيناء، فهل قوله تعالى في سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ يؤكد لنا أن طور سيناء هو جبل الطور وفي الوقت نفسه هو جبل حوريب الذي ورد ذكره في التوراة؟.

على أية حال فإن الخريطة الموضحة لموقع جبل سيناء ـ حوريب تؤكد أنه يقع في القسم الجنوبي من صحراء سيناء، ومازال هناك أديرة عديدة قرب هذا الجبل إلى هذا اليوم تبركاً به باعتباره الذي كلم الله سبحانه عليه موسى نبي الله ورسوله حسب ما يتصورونه.

ولكننا هنا نطرح السؤال التالي: هل جبل الطور شهد النداء الإلهي الأول عندما ظهرت الشجرة التي تتأجج النار فيها ولا تحترق، وفي الوقت نفسه شهد نزول كتاب موسى في الألواح أم أن ذاك مكان وهذا مكان آخر؟.

وطور سينين كما ورد في كتاب إعراب القرآن وبيانه يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه، ولكونه مباركاً.

وقيل عن التين والزيتون، الجبل الذي يطل على دمشق والجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيْتَا. فإذا أضفنا طور سينا تبين لنا أن كلمة طور تعني الجبل، والجبل يضاف إلى المكان للتعريف به.

من الملفت للنظر أن النبي موسى عليه السلام بُلّغ بأول نداء في جبل الطور حيث لا وجود لأحد من البشر، وكذلك بلّغ رسول الله محمد ﷺ وهو في غار حراء حيث لا بشر.

وهكذا الرسالات وأصحابها، وفي سورة التين جمع الله سبحانه بين ثلاثة من أماكن الرسالات. فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

فالزيتون أرض بيت المقدس حيث بلّغ عيسى عليه السلام وطور سينين أي جبل الطور حيث بلّغ موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين مكة التي بلّغ في جبالها النبي محمد ﷺ.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ (سورة طه: 25 ـ 35).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (سورة القصص: 34).

فقبل أن نتحدث عن الصراع مع فرعون ـ وهو صراع طويل ـ نتوقف عند مسألة ورد ذكرها في الآيات القرآنية وهي قوله تعالى: **(هو أفصح مني لساناً)**، وقوله **(واحلل عقدة من لساني)**.

أورد المفسرون عدة تفسيرات حول هذا الأمر. والذي نعتقده أن النبي موسى عليه السلام لما مكث في مدين العربية تعلم لهجة أهلها القريبة من لهجة أهل كنعان، واختلطت لديه اللهجات وتداخلت اللهجة العربية بلهجة أهل مصر، وعندما أمر أن يذهب إلى فرعون شعر أنه لن يفهم عليه فاستعان بأخيه هارون الذي كان في مصر ولم يغادرها وهو أقدر منه على التكلم بلهجة أهلها.

وجاء في التوراة حول هذا الموضوع ما يلي: «**فقال موسى للرب: استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب: من صنع للإنسان فماً، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى أما هو أنا الرب، فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به، فقال: استمع أيها السيد أرسل بيدِ من ترسل، فحميَ غضب الرب على موسى وقال: أليس هارون اللاوي أخاك، أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات**». خروج 4: 10 ـ 17.

وحينما نقارن هذا النص بما جاء من كلام الله في القرآن الكريم نجد الكثير من الأمور الكامنة وراء السطور:

1 ـ موسى عليه السلام في القرآن الكريم يطلب من الله أن يكون هارون أخوه عوناً له.

2 ـ يظهر أدب الأنبياء مع ربهم في القرآن الكريم، أما في التوراة فتظهر قلة أدب مع الله وخاصة في قوله: (**أرسل بيد من ترسل فحميَ غضب الرب**).

3 ـ ماذا يعني قول التوراة: **وأنت تكون له إلهاً**، يبدو أن كاتب التوراة قد خانه التعبير أو أنه تقصد أن يقول ذلك ليرفع مقام موسى عليه السلام إلى مقام الألوهية.

ويرد في التوراة قولها: «**فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له: أنا ذاهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء، فقال يثرون لموسى: اذهب بسلام**» (خروج 4: 18).

وقال الرب لموسى في مديان: اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، فأخذ موسى امرأته وبنيه أركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر» (خروج 4: 19 ـ 20).

من المهم جداً أن يظل كلام التوراة حاضراً في أذهاننا، وخاصة قولها: إن موسى عليه السلام رجع إلى يثرون والد زوجته، وقولها: قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، وقولها: أخذ امرأته وبنيه.

عودة موسى عليه السلام إلى عمه والد زوجته كانت ليخبره ماذا حدث معه إضافة إلى وداعه له خاصة أنه يأخذ زوجته معه.

أما قولها مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك فهذا غير مصدق لأنه خلال عشر سنوات لا يكون هؤلاء قد ماتوا.

وقولها أخذ امرأته وبنيه، فالتوراة نفسها تقول إن موسى أنجب ولداً واحداً اسمه جرشوم فمن أين جاء بنوه الآخرون، وما هي أسماؤهم، وهل يظهر أبناؤه فيما بعد أم أن ذلك من أخطاء كاتب التوراة؟.

وبعد هذا الكلام ليس هناك كلام مهم في التوراة حتى يلتقي موسى عليه السلام بهارون، ولكن أين يلتقيان؟.

تقول التوراة: «**وقال الرب لهارون: اذهب إلى البرية لاستقبال موسى، فذهب والتقاه في جبل الله وقبّله**» (خروج 4: 27).

وهذا يعني أن هارون ذهب من جساسان إلى جبل طور سيناء وهذه الرحلة تستغرق يومين أو ثلاثة.

ويرد في بعض المصادر أن موسى عليه السلام ذهب إلى مصر خفية، ووصل بيته وكانت أمه ما تزال على قيد الحياة، فلم تعرفه حتى عرّف عن نفسه وكتم خبر وصوله حتى تباحث مع أخيه هارون كيف يلتقيان مع فرعون وكيف يجادلانه؟.

obeikandl.com

موسى عليه السلام وفرعون
بين التوراة والقرآن

يبدأ لقاء موسى عليه السلام مع فرعون بدءاً من الإصحاح الخامس في سفر الخروج، وما يهمنا منه مباشرة قول موسى عليه السلام لفرعون: (أطلق شعبي ليعيّدوا لي في البرية)، قال الرب.

تقول التوراة: «**فقالا: إله العبرانيين قد التقانا**» (خروج 5: 3).

من الملاحظ أن التوراة تكرس مقولة شعبي، وإله العبرانيين لتؤكد أن الله ربهم وحدهم وأنهم شعبه دون غيرهم، وهذا يمهد لمقولة شعب الله المختار التي سترد بعد سطور وصفحات.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ (سورة طه: 49 ـ 52).

إذاً الحديثُ هنا يتركز على الجدال مع فرعون حول العقيدة، الإيمان بالله والإيمان بالبعث، وما إلى ذلك من خلق الله للأرض وتسخيرها للإنسان، والسماء وإنزالها المطر..

ونلاحظ في التوراة إقحام الوعد الإلهي المزعوم باستعمار أرض كنعان.

فتقول التوراة: «**أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها**» (خروج 6: 4).

وتقول: «**وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً**». (خروج 6: 7).

وتقول: «**وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا أنا الرب**». (خروج 6: 8).

ثم تقول التوراة على لسان موسى عليه السلام: «**فتكلم موسى أمام الرب قائلاً: هوذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لي فكيف يسمعني فرعون وأنا أَغْلَفُ الشفتين**» (خروج 6: 12).

وقد استند التوراتيون على مقولة «**وأتخذكم لي شعباً**» ليخرجوا بمقولة شعب الله المختار، ويبنوا عليها النظرية العنصرية الصهيونية، أما قصة العهد الذي قطعه الله لبني إسرائيل، فقد حرص كاتب التوراة في القرن السادس قبل الميلاد أن يجسد الصراع مع شعب فلسطين بعد قصة التحرير البابلي الذي حدث على يد نبوخذنصر، والواقع أنه ليس هناك وعد وليس الله سبحانه خادماً عند اليهود ينفذ لهم طلباتهم ورغباتهم.

وفي النص الأخير يبدو أن النبي موسى عليه السلام بدأ بالتململ والتأفف من بني إسرائيل الذين لم يسمعوا لكلامه منذ البداية، وسنرى هذا التنافر بين النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل يستمر طويلاً حتى آخر المطاف.

وسندخل من هذه السطور في التفاصيل والتي تحدثت عن صراع فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، وسنرى مدى التوافق مع القرآن الكريم ومدى التناقض.

تتحدث التوراة عن المعجزات التي أحدثها الله سبحانه أثناء الصراع بين النبي موسى وفرعون.

تقول التوراة: «**وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون**» (خروج 7: 7).

والمعجزات التي أجراها الله لموسى وهارون عليهما السلام.

1 ـ العصا التي تحولت إلى ثعبان: تقول التوراة: «**طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعباناً فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيّهم**» (خروج 7: 10 ـ 12).

ولم تذكر التوراة أن السحرة قد آمنوا برب موسى عليه السلام بعد أن رأوا المعجزة التي أبطلت سحرهم.

2 ـ تحويل الماء إلى دم وموت السمك في النهر: تقول التوراة: «**ثم قال الرب لموسى: قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى**

سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار» (خروج 7: 19).

3 ـ انتشار الضفادع على أرض مصر: تقول التوراة: «فمد هارون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر» (خروج 8: 6).

4 ـ انتشار البعوض: «مد هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم، كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر». (خروج 8: 17).

5 ـ انتشار الذبان: «فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان» (خروج 8: 24).

6 ـ موت المواشي: «فماتت جميع مواشي المصريين» (خروج 9: 6).

7 ـ الغبار الذي تحول إلى دمامل: «فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذرّاه موسى نحو السماء فصار دمامل بنور طالعة في الناس وفي البهائم» (خروج 9: 10).

8 ـ إمطار السماء البرد العظيم: «فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعوداً وبَرَداً وجرت نار على الأرض وأمطر الرب بَرداً على أرض مصر». (خروج 9: 23).

9 ـ الجراد: «ثم قال الرب لموسى: مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد، فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل مصر وحل في جميع تخوم مصر» (خروج 10: 12 ـ 14).

10 ـ انتشار الظلام: «فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام» (خروج 10: 22).

وفي القرآن الكريم ترد قصة النبي موسى عليه السلام وجداله مع فرعون في عدة سور قرآنية منها: سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص.

وقد وردت معجزات النبي موسى عليه السلام في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ (سورة الأعراف: 133).

إضافة إلى العصا وإخراج النبي موس ليده بيضاء من جيبه من دون سوء.

قصة العصا والسحرة:

يقول تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (سورة الأعراف: 107 ـ 122).

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (سورة طه: 57 ـ 70).

فالتفاصيل التي جاءت في سورتي الأعراف وطه تبين العديد من الأشياء التي غفل وتغافل عنها كتبة التوراة.

1 ـ إيمان السحرة بإله موسى عليه السلام بعد أن عرفوا أن ما فعله ليس سحراً وإنما معجزة من الله سبحانه، وأن أفعى موسى عليه السلام حقيقية وليس خداع بصر بسبب السحر، وإيمان السحرة لم يرد في التوراة.

2 ـ عندما ألقى السحرة عصيّهم وحبالهم خاف موسى عليه السلام فأوحى الله له فتشجع فألقى عصاه فإذا هي تلقف كل ما صنعوا.

3 ـ في التوراة تركيز على هارون وأنه هو الذي كان يستخدم العصا بأمر من أخيه موسى عليه السلام، وفي القرآن الكريم كان المقصود دوماً باستخدام العصا النبي موسى عليه السلام.

4 ـ أشار القرآن الكريم إلى تسع آيات بينات (أي تسع معجزات) وذلك في سورة الإسراء بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء: 101).

وتتقارب المعجزات بين ما ورد في التوراة والقرآن الكريم وقد يكون هناك فارق واحد زيادة في التوراة، إذ ذكر القرآن الكريم تسعاً وذكرت التوراة عشراً.

وبعد أن أطلق فرعون اليد لبني إسرائيل استعدوا للهرب.

تقول التوراة: «**تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين**» (خروج 11: 2 ـ 3).

وتقول التوراة: «**طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً.. فسلبوا المصريين**» (خروج 12: 35 ـ 36).

وهذه السرقة وهذا السلب لم يتحدث عنه القرآن الكريم، ويبدو أن كاتب التوراة أراد أن يظهر أن المصريين سذج إلى درجة كبيرة حتى يسمحوا لبني إسرائيل أن يسلبوهم الذهب والفضة والثياب.

وتقول التوراة: «**فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد**» (خروج 12: 37).

هذا الرقم غير صحيح ومبالغ فيه كثيراً، لأن حقيقة ذلك غير ما ورد في التوراة.

يقول ابن حزم الأندلسي: (وبعد ذلك قال: وكان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة، قال: هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر، إن سكن بني إسرائيل في مصر 400 سنة، وقد ذكر قبل أن فاهاث بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه، وأن عمر قاهاث كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة، وأن عمران بن فاهاث بن لاوي كان عمره مئة وسبعاً وثلاثين سنة، وأن موسى بن عمران عندما خرج ببني إسرائيل من مصر كان ابن ثمانين سنة، هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة، ويرى ابن حزم أن مدة بني إسرائيل منذ دخل يعقوب وبنوه إلى مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً، فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاماً، ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة لكفت في أنها موضوعة مبدلة)[1].

وتزعم التوراة أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر إلى سيناء كان ستمئة ألف ماشٍ عدا الأولاد.

وهذه طبعاً خرافة تخالف المنطق التاريخي والمنطق بشكل عام، لقد مكثوا مائتين وسبعة عشر عاماً، دخلوا مصر وكان عددهم 72 شخصاً وعلى رأسهم النبي يعقوب فهل يُعقل أن يصبحوا 600 ألف في غضون مائتي سنة؟ عدا الأولاد؟.

---

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص252 ـ 253.

فإذا جمعنا إليهم الأولاد صاروا أكثر من مليون؟.

ولو كانوا فعلاً بهذا العدد لما تغلب عليهم فرعون واستعبدهم. ولو كانوا بهذا العدد لحاربوا فرعون وجنوده وانتصروا عليهم.

يقول ابن حزم: أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالى حاكياً عن فرعون أنه قال إذ تبع بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ (سورة الشعراء: 54).

وتقول التوراة: «**وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر**» (خروج 13: 17).

فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر، وأخذ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً: إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم.

إذا نظرنا إلى هذا النص نرى عدة تناقضات وتلفيقات:

1 ـ فالتوراة تقول: إن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين، فالإسرائيليون ما يزالون في أرض مصر، فأين طريق أرض الفلسطينيين وهناك بحر سوف (الأحمر) ثم هناك صحراء سيناء، لكن كاتب التوراة أراد أن يدخل إقحاماً ذكر أرض فلسطين حين بدأ بنو إسرائيل رحلة الهروب من وجه فرعون.

2 ـ تقول التوراة: وأخذ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه، وهذا كذب وليس حقيقة، فأجساد الأنبياء لا تبلى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قالت التوراة فيما سبق: إن يوسف حنّط جثة أبيه يعقوب ودامت عملية التحنيط 40 يوماً ثم نُقل إلى أرض الخليل ليدفن مع أبيه إسحق وجده إبراهيم، فلماذا لم يُحنط يوسف عليه السلام كما حُنط أباه؟ ومن المعروف أن المحنَّط يبقى جسده أو على الأقل يبقى الكثير من جسمه على ما هو عليه فترة زمنية طويلة، فإذا كان يوسف عليه السلام قد حُنط فهل بلي جسمه خلال مائتي عام؟.

إن قبر يوسف عليه السلام لم يُعرف في أرض فلسطين، والاعتقاد السائد أن قبر يوسف عليه السلام موجود في مصر ولم تنقل لا جثته ولا عظامه مع النبي موسى عليه السلام.

ثم تقول التوراة: «**وارتحلوا من سكُّوت ونزلوا في إيثام في طرق البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب**» (خروج 13: 20 ـ 22).

ونلاحظ في هذا النص تجسيد الإله، ولو كان الذي يهديهم ملاك الرب لهان الأمر، ولكن عندما يقولون أن الله نفسه كان يمشي أمامهم عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً، فإنهم بذلك جسدوا الإله وحصروا عمله في خدمته، ألا يوجد لله عملٌ سوى هذا العمل؟، أين تدبير السماوات والكون والأراضي والبشر والموت والحياة؟، يبدو أن كاتب التوراة الذي ألف توراته في بابل تأثر بمعتقدات البابليين الذين أشركوا الآلهة في فعل البشر، حيث تصور الإنسان أن الآلهة تخدم البشر وتكون طوع أيديهم.

تقول التوراة: «**فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية**» (خروج 14: 10 ـ 14).

وهذا النص يدل على الصَّغار والمذلة لدى بني إسرائيل، فهم يحتجون على النبي موسى عليه السلام لأنه أخرجهم من مصر، وهم هنا يفصحون عن عدم تفكيرهم بالله، ولم يقتنعوا بأن الله سينجي موسى عليه السلام وينجيهم، وهم يفضلون أن يبقوا خادمين للمصريين بدل أن يموتوا في البرية حسب قولهم. وليس في النص ما يشير إلى أي ذرة من إيمان بالله وبنبوة موسى عليه السلام.

ويصبر موسى عليهم فيقول لهم: لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، ثم قال الرب لموسى: ارفع عصاك ومد يدك إلى البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة.

وتقول التوراة: «**ومدَّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم**» (خروج 14: 21 ـ 23).

«**فقال الرب لموسى: مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم، فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه فدفع الرب المصريين في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ولم يبقَ منهم ولا واحد**» (خروج 14: 26 ـ 29).

وتقول التوراة: «**فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى**» (خروج 14: 30 ـ 31).

لقد ذكر القرآن الكريم قصة شق البحر وهروب بني إسرائيل وغرق فرعون وجنود، ولكنْ هناك اختلافات بين القرآن والتوراة في كثير من الأمور لابد من مناقشتها.

ولابد بالتالي من التوقف عند هذا الحدث الكبير وماذا قال بشأنه العلماء والباحثون المتخصصون بهذا الشأن.

تورد التوراة أن الله أمر بني إسرائيل أن يرتحلوا إلى فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون والواقع أن فم الحيروت غير معلوم حتى الآن، كما أن هناك العديد من الأماكن باسم المجدل والتي معناها البرج أو الحصن،

وبعل صفون في شمال مصر لذا فإن المكان الصحيح لانغلاق البحر لا يمكن تحديده بطريقة مؤكدة[1].

ونعود إلى القرآن الكريم لنرى الآيات التي تحدثت عن هذا الحدث الكبير.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ (سورة طه: 77 ـ 79).

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ (سورة الشعراء: 57 ـ 66).

ويقول تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ (سورة يونس: 90 ـ 92).

فالقصة بين ما ورد في القرآن الكريم وما أوردته التوراة تتطابق من حيث العموميات، ويختلف القرآن الكريم عما قالته التوراة في أنّ المصريين وُجدوا أمواتاً على الشاطئ وقد رآهم بنو إسرائيل وهذا لم يرد في القرآن، فمن أين لبني إسرائيل أن يروا المصريين أمواتاً على الشاطئ إذا كان عرض البحر ذا مسافة كبيرة، فإن الناس من الشاطئ الآخر لا يُشاهدون، أما إذا كانت المسافة قليلة فربما يشاهدون.

من ناحية ثانية لم تشرْ التوراة إلى ما قاله فرعون وهو يغرق، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن فرعون قد نُجي ببدنه ليكون آية لمن بعده، لذلك لم يأخذه البحر بل بقيت جثته.

---

(1) Oxford. Bible Atlas, "op-lit. p58.

وقد قال بعض علماء الحضارة المصرية إنهم وجدوا في أحد قبور الفراعنة جثة قد دفنت على عجل وأثناء فحصها تبيّن أن في الفم شيئاً من الملح، وأشاروا على احتمالات كبيرة بأن الجثة هي جثة فرعون موسى عليه السلام.

لقد انشق البحر بمعجزة إلهية وهذا ما ورد في القرآن الكريم، ولكن هل يمكن تحديد المكان البحري الذي تمت فيه هذه المعجزة؟.

إن جميع الباحثين الآثاريين ينفون الخروج كواقعة تاريخية، ويرون أنه لا وجود لأي أثر مادي يدل على أن جماعة إسرائيل كانت في مصر وأنها خرجت منها باتجاه سيناء.

إسرائيل فنلكشتاين، نيل سلبرمان، ينفيان الخروج نفياً قاطعاً في كتاب (التوراة مكشوفة على حقيقتها).

السيد مورة الفرنسي يقول: الآثار المصرية لا تؤكد قطعاً وجود اليهود في مصر.

أرنست رايت: يقول هناك استحالة أن تتفق التنقيبات الأثرية مع أطروحات التوراة وخاصة قصة الخروج.

شانكس: ليس من أدلة على وقوع الخروج والعبودية في مصر ووجود موسى فيها.

وإضافة لهؤلاء يوجد العشرات من العلماء والآثاريين ممن ينكرون وجود بني إسرائيل في مصر، وحدوث قصة الخروج، ومنهم كمال صليبي وأحمد سليمان داود، وفاضل الربيعي، ولحق بهم بعض الباحثين الجدد من العرب.

ومن خلال ما طرحه هؤلاء الباحثون يتبين أن وجهة نظرهم تستند إلى ما جاء في بعض مدونات اليمن وخاصةً أسماء الأماكن الجغرافيةوبعض الأحداث التي حدثت فيها.

ومن وجهة نظرنا نرى أن دراستنا عن شخصية النبي موسى تتركز على المقارنة بين النص التوراتي والنص القرآني ودراسة مدى التحريف الذي قُصد من ورائه تضليل العقل البشري وحرف الحقيقة عنه.

صحيح أن علم الآثار لم يتوصل إلى نتيجة تحسم قصة خروج بني إسرائيل، ولم يُعثر على ما يدل على وجود بني إسرائيل في مصر، ولكن السؤال المطروح يقول هل يكفي علم الآثار لوحده كي يُثبت قصة خروج بني إسرائيل من مصر؟ أو عدم وجوده؟.

وإذا كان علم الآثار لا يستطيع إثبات هذا الخروج فهل يعني أن الخروج لم يتم؟.

وهل وجود كلمات وأسماء جغرافية في اليمن أو الجزيرة مشابهة لأسماء جغرافية موجودة في كتاب التوراة يعني أن بني إسرائيل كانوا في الجزيرة العربية أو اليمن؟.

ثم ما الذي نبغيه من غايات إذا قلنا إن بني إسرائيل لم يكونوا في مصر بل كانوا في شبه الجزيرة العربية أو في اليمن؟

إذا كانت الغاية سياسية تتعلق باحتلال فلسطين من قبل الاستعمار الصهيوني فإن الصهاينة استطاعوا إقامة دولة ويمتلكون قوة وهم موجودون بالقوة على أرض فلسطين، ونعتقد أن القوة الصهيونية قامت بسبب ضعف العرب والمسلمين وابتعادهم عن خط المقاومة المسلحة. وإذا كان الصهاينة قد ركبوا النص التوراتي ليكوّنوا النص السياسي فإن ذلك لا يعني أنهم امتلكوا حقاً مشروعاً؛ لأن النص التوراتي وحسب الدراسات الحقيقية واستناداً إلى النص القرآني، هو نص محرّف جيّر الموضوع الديني لمشروع سياسي استعماري.

ونعتقد أن صراعنا كعرب ومسلمين مع المشروع الاستعماري الصهيوني هو صراع وطني قومي ديني إنساني، ونفتقد أولاً أن نبيّن للعالم أن النص التوراتي نص عنصري مؤلف وليس له علاقة بالعقائد، وأن الأنبياء الذين ذكروا في التوراة كانوا مقموعين مقهورين من قبل أصحاب العقيدة اليهودية المستحدثة بل إن أكثر الأنبياء قتلوا على يد هؤلاء المنحرفين اليهود.

ثم علينا ثانياً أن نحارب هذا المشروع الاستعماري الصهيوني باعتباره أحد مشاريع الاستعمار الأوروبي الغربي.

إن القرآن الكريم يشير إلى معجزة أحدثها الله سبحانه حين أمر موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر لينغلق وتظهر اليابسة من تحت الماء ليدخل هو وقومه ثم ليدخل فرعون وراءهم ثم يغرق هو وجنوده.

وليست هي المعجزة الوحيدة التي أحدثها الله سبحانه للأنبياء، فهناك معجزات لا تقل أهمية عنها، ومنها مثلاً معجزة ناقة النبي صالح، ومعجزة ولادة المسيح من دون أب ومنها خلق المسيح لما يشبه الطير فيصير طيراً بإذن الله، ومنها معجزة الكبش الذي جاء به ملاك الله لإبراهيم، ومنها أيضاً معجزة تدمير سدوم وعامور، ومدن الدائرة في منطقة البحر الميت.

ولعل كل معجزة حدثت لتناسب عصرها، وتناسب طبيعة النبوة التي كان عليها كل نبي.

إن الكتّاب والباحثين العلمانيين يرفضون منطق المعجزة لأنهم أساساً يرفضون الدين ويرفضون القرآن الكريم، ولعل بعضهم أراد من وراء بحوثه استبعاد العديد من الحقائق القرآنية التي لم يتوصل إليها لا علم الآثار ولا علم التاريخ حتى الآن.

وقفات مع سفر الخروج:

جاء في التوراة: «**وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطّست ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب**» (خروج 12: 22 ـ 23).

وجاء فيها: «**ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم**» (خروج 12: 13).

ففي هذا النص يقرر كاتب التوراة أن الرب أمر بني إسرائيل أن يضعوا الدم على عتبات بيوتهم لأنه حين يمر بين الحارات لا يعرف بيوت المصريين من بيوت

بني إسرائيل لذلك طلب منهم علامة تكون على عتبات بيوتهم حتى يميز بين البيوت فيدمر المصريين ويترك بني إسرائيل.

إن هذا الكلام يمس ذات الله ويصفها بأوقح الصفات وهي صفة العجز، فالله سبحانه لا يحتاج لعلامات حتى يميز بين البشر، فهو الخالق وهو العالم وعلمه مطلق، ولكن يبدو أن كاتب التوراة الذي أصابته لوثة الوثنية جاء بهذا الوصف للذات الإلهية الذي لا يليق به إنما هو صفات البشر القاصرين.

وجاء في التوراة: **ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر**. (خروج 14: 30).

وجاء أيضاً: **الفرس وراكبه طرحهما البحر**.

وتقول: **وعصاك التي ضربت بها النهر**. (خروج 17: 5).

وجاء فيها: **من مثلك بين الآلهة يا رب**. (خروج 15: 11).

وجاء فيها: **يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين حينئذ يندهش أمراء آدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة يذوب جميع سكان كنعان**. (خروج 15: 14 ـ 15).

أما كيف رأى بنو إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر فهذا أمر غريب لأن بني إسرائيل غرقوا في الماء، أو جرفتهم مياه البحر ولم يبقَ سوى فرعون حيث نجاه الله ببدنه ليكون عبرة لمن بعده، ثم لننظر إلى التناقض، تارة تقول البحر، وتارة تقول النهر، ولا ندري أيهما، وحين تقول التوراة: **من مثلك بين الآلهة يا رب**، وهذا دليل واضح على أن بني إسرائيل يعرفون عدداً من الآلهة لذلك قال كاتب التوراة هذه العبارة الوثنية.

وعندما تقول التوراة إن الرعب يأخذ بقلوب أهل فلسطين وأهل موآب وآدوم. لماذا يأخذ الرعب بقلوب هؤلاء؟ أليس ذلك ينم عن موقف مسبق لكاتب التوراة الذي يريد أن يصب غضبه على سكان فلسطين والأردن؟.

ثم ما الذي عرّف بني إسرائيل بسكان موآب وآدوم وكنعان، وهل سبق في سيرة من سبقهم أن جرت حرب بينهم وبين هذه القبائل؟ الواقع أن الحس السياسي والعداء للشعوب سطره كاتب التوراة بسبب وضعه الذليل أيام كان في بابل.

وتقول التوراة: **فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب؟** (خروج 15: 24).

وتقول مرة أخرى: **فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع.** (خروج 16: 1 ـ 3).

ثم يأتي في التوراة: **ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء لنشرب فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني لماذا تجربون الرب، وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش.** (خروج 17: 1 ـ 3).

فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني. (خروج 17: 4).

فهذه الفقرات تدل على أن بني إسرائيل استمرؤوا الذل عند المصريين وتذمروا على موسى عليه السلام، ويظهر واضحاً أن لا صلة بينهم وبين الله وعقيدة التوحيد، إنهم مازالوا متأثرين بالحياة السابقة حيث إشباع البطون من اللحوم والشراب ومتاع الدنيا.